

ضرر الا ويكون له من حيلتهم دافع. واما الخوف كل الخوف فانه في بلادنا وحدها لان فتياتنا قد تحررن الان بشيء من العلم دون ادنى شيء من الصناعة حتى الصناعة النسائية ولكن تلك الحرية قد منعت عنهن خير الزواج لخوف الرجال من حالتهم المضطربة ومنعت منهن خيرا الاستفادة والاستقلال لانهن لا يدبرن من الصنائع الهامة شيئا ولهذا كانت احوالنا الحاضرة اشد من حالة اوروبا ونحن اولى منها بالشكوى بل لقد صرنا لا ينفعنا الا الرجوع الى حالة الجهالة القديمة او الاسراع للبلوغ الى حالة اوروبا الحاضرة مما بعد الضرر فيها مواجها للنفع والخطاء مقابل للصواب

❖ اميال المرأة ❖

لم يكثر الناس من الظن والتخمين في حالة من الحالات مثل اكثارهم الظنون في اخلاق المرأة وطبائعها وما تميل اليه من اخلاق الرجال وحالاتهم وما تنفر عنها. ولقد اشتد ذلك حتى ندر ان يتفق اثنان على وصف المرأة وصفا واحداً من حيث اميالها الى الرجل فان منهم من يدعي انها لا تميل الا الى المال دون ان يهمها من الرجل حسن او قبح او كبر او جهل ودليلهم في ذلك ما يجدونه من كثرة تزوج الفتيات الصغيرات بالاغنياء الكبار المعمرين ومنهم من يزعم ان المحاسن ذات سلطان عظيم عليها وان الشباب اعظم شفع لذيها وهذا مذهب الشمراء ودعواهم. ومنهم من يقول بل المرأة لا يهمها من الرجل الا مروءته وفتوته ومحاسن اخلاقه واكتمال صفاته وهو رأي يطلق اطلاقاً من

حيث اثار كل الناس لهذه المحاسن وشعورهم بتفضيلها. ومنهم من يرى ان المرأة مادية محضة لا يهمها الا شباب الرجل وماله دون نظر الى اخلاقه وعواطفه ومبلغ عقله وحنقه

ولكن كل هذه المزاعم انما ترسل ارسالاً من عند الظن وتبعث من تلقين الضمير دون برهان عليها سوى ما يبدو من بعض النساء وميلهن لتلك الاوصاف. ولكن الحقيقة الشائعة في مجموعهن لا تزال مجهولة من كل الرجال بل من النساء أنفسهن حتى اصبحت حقيقة المرأة انه لا حقيقة لها او ان كل وصف يصدق فيها وكل حالة من حالات الرجل توافقها وتجد هوى في فؤادها ولقد عثرنا في احدى الصحف الاجنبية على مقال لاحدى النساء في شأن ما يرضي المرأة من اوصاف لرجل فأينا نقل معناه من قبيل الفكاهة او التنبيه لهذا الموضوع الدقيق الذي قل ان يصيب به كاتب واحد لعدم الاستقرار عليه من الجميع كما قلنا

فقد ذكرت تلك المرأة ان جمال الرجل ومحاسنه البادية على وجهه وملابسه قبلما تمد جوهرية لدى المرأة بل هي عندها مما يشبه الزينة التي قد يستغنى عنها وان الجمال في نظرها لا يعتبر الا كتمهيد ومقدمة لارضاء المرأة وسرورها من الرجل دون ان يعتبر من النتائج النهائية الموصلة الى الحب والا يثار المحض. ومن رأي تلك القائلة ان حسن السيرة في الرجل او حسن اسلوبه وطريقته في الحديث والعشرة هو من اهم ما يؤثر في نفس المرأة وقد استشهدت على ذلك بقول تصدقه عن احد المشاهير في قبح الوجه ودمامة المنظر وهو قوله اني في حسن تلطفي ورقة حديثي ووفور حيلتي استطيع ان ابليج من فؤاد كل امرأة ما لا يبلغه اجل شاب وابهى فتى

ومما تدعيه تلك الكاتبة ان المرأة لا يروق لها تحلي الرجال ولا يحلو في عينها تزينهم بل انها لا تطيق النظر الى الرجل الذي يقلدها في الشأن الذي اختصت به ولكنها تنظر اليه نظرة الحاسد الكاره لما تنظر الى كل امرأة مثلها تكون متزينة زينتها. الا انها مع كل هذا لا تحب من يبالغ في اهمال ملبسه حتى يبدو لها بمنظر شائن غير مقبول. على انها اذا وجدت الرجل المهذب الحاذق بادياً في ملبس لا ترضاه فقد يهون عليها احتمالاه او يكون له نصيب من ودها على خلاف الرجل السيء الخلق الفاسد الطبع فانه لو بدا من ملبسه في احلى ما يروق باعين النساء وسراهن لما كان له اقل عناية من المرأة على انها تنفر منه نفورها من الزائد في ثأقه المغالي في بيان محاسنه

ولقد تميل المرأة الى اشد الناس قبحاً الا البخل فانه لاسبيل له الى قلبها مهما بلغ من الجمال واتصل الى حسن الظواهر بل انها تكرهه كرهاً ما بعده كرهه لانه ليس اقبح لدى المرأة في اعتبارها من رجل لاهم له من دنياه الا جمع الدرهم الى الدرهم ولا ابعد عن فؤادها من رجل يقدر ثمن كل شيء قبل ان يشتريه ولا سيما حين يكون ذلك لها لان المرأة تحب منتهى التزين والعبث بكل ما يحلو لها فلا تطيق ان ترى رجلاً يدقق معها في الحساب ولا سيما حين يكون ما يشتريه منصرفاً اليها

ومما ذكرته من محاسن الرجل في نظر المرأة هو ان يكون سايم الذوق حسن التخلص في المواقف الدقيقة رقيق الشعور في محبة النساء بعيد النظر في مطالب المرأة مهما بلغت من قلة الاهمية وذلك لانه ليس لدى المرأة شيء لا يكون مهماً بل ان ادنى ما يبدو للرجل حقيراً لا يحفل به قد يكون من اشد ماتهم به المرأة وتميل اليه

ثم ان المرأة مولعة بالاسرار حتى لقد تموت ان لم يكن في فؤادها سر كيف كانت اهميته فهي دائماً التفتيش عن كل سر فاذا شاء الرجل ان يكون معنياً به من المرأة دائماً ودادها له فلا ينبغي ان يكشف لها كل ما في فؤاده من الخبآت بل هو اذا لم يكن لديه ما يستره عنها فليوهها ايهاً بان هناك سراً وعندها ترى دائماً انتطاع اليه ككثيرة الاهتمام به حتى لقد ينسبها ذلك كل محاسن الوجه والشباب والمال وحسن العشرة ولطف الصحبة بل يقال ان هذه الحالة هي من اشد ما يربط قلب الرجل بامرأته ولولاها لما كان ائتلاف بين زوج وزوجة

هذا الذي ذكرته تلك الكاتبة عن اخلاق النساء وامياهن وما يهوينه من الرجال ولكن هذا النظر إنما هو نظرها وحدها وقد لا يشاركها فيه من النساء الا من يتفق ان تكون مشاكلتها في الطبع والخلق ولهذا لا يعتبر صحيحاً حين الحكم على الجميع ولو كان اكثره صادقاً من حيث ما ينبغي وبؤثر. بل ان هذا القول اذا عد صادقاً كله فانما يصدق على المرأة وهي في حالة معينة وسن معلوم ولكنه من المحال ان يكون صادقاً بالكل لا اختلاف الاعمار وتفاوت المراتب بالغنى والفقر وهو ما يقضي بالتفاوت الشديد بين آمال امرأة وامرأة ولهذا لا يسلم بما قالت الا من قبيل التقريب فقط

اما ايشار المرأة لقبح الرجل الحسن الخلق الرقيق الصحبة على الجميل الوجه الجاني الطباع فما يجب ان يكون هكذا لان الحسن عرضي والخلق جوهرى ولكن هذا الشعور غير عام لكل النساء حتى فضلياتهن والمعافلات منهن فقد روي عن احدى النساء المهذبات من العرب انها تمننت ان ترى ابا العيناء الفاضل المشهور فلما رآه تجهته لقبح صورته فسألوها في ذلك وقالوا

لها هذا ابو الدنيا، وهو هو في كل علم وادب فاجابتهم اني لا اريده لولاية الديوان اي انها امرأة يههما من الرجل ما يبدو من محاسنه فاذا كانت تلك الفاضلة على هذا الاعتقاد فقد ارتد كل قياس لان كثيرات من فضليات الافرنج الان يتعشقن عظماء الرجال تعشقا ويكن قنيات ويتمنين لو تزوجوهن ولو كانوا طاعنين في السن وكثيرا ما قرأنا ذلك عنهن في الجرائد

اما تأثير حسن الرجل بالمرأة فما لا يجب نكرانه ولو كان الحسن عرضيا كما نقول لان كل هؤلاء الناس يعيشون متعلقين بالاعراض وندر جدا من هم جوهر الشيء وذاتيه . ومما يذكر عن تأثير المحاسن ان كثير عزة (فيما نظن) كان يقول لمحبوته عزة اني مارأيت مصعب بن الزبير يتخطر مرة في البلاط الا اخذتني الغيرة عليك يريد بذلك ان مصعبا جميل الطلعة وانه قد يفتن عزة فاذا كان كثير قد خشي على عزة من فتنة المحاسن وهو وهي كثر وأمين من شدة الالتزام والتقرب فكم يكون الظن في غيرهما

وعلى الجملة فان كل ما يقال عن اميال المرأة وما للرجل بها من المؤثرات انما ينقل كاهن من قبيل الفساحة كما قلنا وليس من قبيل ايراد الحقيقة وذلك ايس لان طباع المرأة غريبة نادرة كما يزعمون او انها ترغب فيما لا يرغب فيه كما يتهمها الكارهون لها المتحاملون عليها بل لان هذه التأثيرات تختلف باختلاف عمرها ومبلغ اقتدارها ومقدار منزلتها من المجتمع الانساني والمكان الارضي وليس هذا الاختلاف بالمؤثر بها وحدها بل هو مؤثر بالرجل ايضا فان الرجال على ما يبدو من تشابههم في اكثر الاخلاق والطباع لا يكاد يتفق واحد منهم مع الآخر على اعتبار المؤثرات من محاسن المرأة ومقاييسها

بل ترى هذا هوى الجمال من حيث يياض البشرة وهذا هوى من حيث تناسب الاعضاء وذلك يؤثره من جهة الشباب وجودة الصحة والآخر من جهة المال او علو القدر ولذلك قل ان تمر امرأة برجال ويتفق عدة منهم على حالة واحدة يعتبرونها فيها حسنا . بل ان الجمال وتأثيره في النفوس كيف كان في وجهه او ملبسه او حالة مما حير افكار الفلاسفة منذ القديم حتى لم يهتدوا منه الى حقيقة . ولعل اصدق تعريف يقال فيه ما ذكره علامتنا المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي وهو قوله

عين قد استحسنت مرأى فطاب لها والله يعلم سر العين في الصور
اما تأثير الحالات والاخلاق في النفس وقيامها مقام الجمال الحسي المعروف
فما حير الناس ايضا حتى لا يدري احد منهم اي حالة يبديها ليرضي بها
واية حالة تبدو له ليس منها . وما اصدق في هذا المعنى ما قاله ايضا علامتنا
المشار اليه

ومن في الناس يرضي كل نفس وبين هوى النفوس مدى بعيد



حيرة شاعر

يا ليتني كنت طبيبا ماهرا ولم اكن بين الانام شاعرا
الشعر لا يشفي الفتى من علة ولا يروي نفسه من غلة
لقد بدالي انني مفتون وانني في نظمه مغنوب
يا ضيعة العمر الذبيبة اوقفته عليه والمال الذي انفقته